

سورة مريم

«مكية» وآياتها ٩٨ آية

مدة الحفظ: ٧ أيام

هذه السورة

* روى أن جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه قرأ صدرها على النجاشى وأصحابه .

وهى تدور على محور التوحيد، ونفى الولد والشريك، ويلم بقضية البعث القائمة على قضية التوحيد... هذا هو الموضوع الأساسى الذى تعالجه السورة، كالتشأن فى السور المكية غالباً. والقصص هو مادة هذه السورة:

* عرضت السورة الكريمة لقصص بعض الأنبياء مبتدئة بقصة نبي الله (زكريا) وولده (يحيى) الذى وهبه على الكبر من امرأة عاقر لا تلد، ولكن الله قادر على كل شئ يسمع دعاء المكروب، ويستجيب لنداء الملهوف، ولذلك استجاب الله دعاءه ورزقه الغلام النبيه. ﴿ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ﴿ فَدَاذَهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾

* وعرضت السورة لقصة أعجب وأغرب، تلك هى قصة (مريم العذراء) وإنجابها لطفل من غير أب، وقد شاءت الحكمة الإلهية أن تبرز تلك المعجزة الخارقة بميلاد عيسى من أم بلا أب، لتظل آثار القدرة الربانية ماثلة أمام الأبصار، بعظمة الواحد القهار. ﴿ قَالَتْ أَنِّي بَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾

* وتحدثت كذلك عن قصة إبراهيم مع أبيه، ثم ذكر بالثناء والتبجيل رسل الله الكرام: (إسحاق، يعقوب، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس، نوحا) وقد استغرق الحديث عن هؤلاء الرسل الكرام ثلثى السورة، والهدف من ذلك إثبات (وحدة الرسالة) وأن الرسل جميعا جاءوا لدعوة الناس إلى توحيد الله، ونبذ الشرك والأوثان.

* وتحدثت السورة عن بعض مشاهد القيامة، وعن أهوال ذلك اليوم الرهيب، حيث يجثو فيه الكفرة المجرمون حول جهنم ليقذفوا فيها، ويكونوا وقوداً لها.

وختمت السورة الكريمة بتزيه الله عن الولد، والشريك، والنظير، وردت على ضلالات المشركين بأنصع بيان، وأقوى برهان ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩﴾ تكادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُونَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴿٩٢﴾ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ التسمية: سميت: (سورة مريم) تخليداً لتلك المعجزة الباهرة، في خلق إنسان بلا أب، ثم إنطاق الله للوليد وهو طفل في المهد، ما جرى من أحداث غريبة رافقت ميلاد عيسى عليه السلام. ويسير السياق مع موضوعات السورة في أشواط ثلاثة:

الشوط الأول: من الآية رقم (١) إلى الآية رقم (٤٠) ويتضمن ذكر قصة زكريا ويحيى.
الشوط الثاني: من الآية رقم (٤١) إلى الآية (٦٥) ويتضمن حلقة من قصة إبراهيم مع أبيه وقومه.

الشوط لثالث: من الآية رقم (٦٦) إلى الآية رقم (٩٨) ويستعرض فيه الجدل حول قضية البعث وبعض من مشاهد القيامة . . .

ونختتم التعريف بهذا السورة الكريمة بما كتبه الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله : (الذي يجب أن يعرفه الكل أن ما عدا الله من إنس وجن وملك: عبد له لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا أمامه، فكيف يجدى مع غيره؟ واسمع الآيات تقصف كالرعد ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩﴾ تكادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطُونَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ إِنَّ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرْدًا ۝٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تَحْسُبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾ والله سبحانه ييغض من أشرك به، ولا يغفر له جريمته، ويقبل الموحدين، ويقبل عليهم بالود والرحمة، وما جعل إنسان التوحيد قاعدته ثم انطلق في دروب الحياة مرتبطاً به إلا أحبه الله، وجعل أهل السماء والأرض يحبونه ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ وفي الحديث: قال رسول الله ﷺ [ان الله سبحانه إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: إني أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض] اللؤلؤ والمرجان ص ٧١٣ رقم ١٦٩٢ قال أحد الصالحين: ما أقبل عبد على الله بقلبه إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم: ﴿فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾

الشوط الأول

(قصة زكريا ويحيى)

من الآية رقم (١) قوله تعالى: ﴿ كَهَيْعَتِ ١ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ... ﴾

إلى الآية رقم (٤٠) قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... ﴾

مدة الحفظ: ثلاثة أيام

. تبدأ القصة بمشهد الدعاء . دعاء ذكريا لربه فى ضراعة وفى خفية: ﴿ كَهَيْعَتِ ١ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ٢ ﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ رَأْيِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا

إنه يناجى ربه بعيداً عن عيون قومه، بعيداً عن أسماعهم . فى عزلة يخلص فيها لربه . . ثم ترسم لحظة الاستجابة فى رعاية وعطف ورضا . فالرب ينادى عبده من الملاء الأعلى ﴿ يَا زَكَرِيَّا ﴾ ويعجل له البشرى: ﴿ إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ ﴾ ويغمره بالعطف فيختار له اسم الغلام الذى بشره به: ﴿ اسْمُهُ يَحْيَى ﴾ وهو اسم فذ غير مسبوق: ﴿ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ .

ويترك السياق زكريا بعد أن أفاق من غمرة الفرح . فإذا هو يواجه الواقع . . كيف؟ ويجيئه الجواب على سؤاله: أن هذا هين على الله سهل ويذكره بمثل قريب فى نفسه: ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴾

ومع ذلك يطلب آية وعلامة على تحقيق البشرى فعلاً . فأعطاه الله آية تناسب الجو النفسى الذى كان فيه الدعاء وكانت فيه الاستجابة: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ وكان ذلك: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾

ويترك السياق زكريا فى صمته وتسيبجه ليفتح الصفحة الجديدة على يحيى ، يتاديه ربه من الملاء الأعلى: ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ وبعد النداء يكشف السياق عما زود به يحيى لينهض . بالتبعة الكبرى: ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٧ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ فهذه هى المؤهلات التى زوده الله بها وأعدده وأعانه على احتمال ما كلفه إياه عندما ناداه . ويسدل الستار على يحيى كما أسدل على زكريا من قبل والآن فإلى قصة أعجب من قصة ميلاد يحيى . إنها قصة ميلاد عيسى . وقد تدرج السياق من القصة الأولى ووجه العجب فيها هو ولادة العاقر من بعلها الشيخ ، إلى الثانية ووجه العجب فيها وولادة العذراء من غير زوج!

وهي أعجب وأغرب.

ونظراً لغرابة الحادث وضخامته فقد عز على فرق من الناس أن تتصوره على طبيعته وأن تدرك الحكمة في إبرازه، فجعلت تضيف على عيسى ابن مريم -عليه السلام- صفات ألوهية، وتصوغ حول مولده الخرافات والأساطير، وتعكس الحكمة من خلقه على هذا النحو العجيب، -وهي إثبات القدرة الإلهية التي لا تتقيد- تعكسها فتشوه عقيدة التوحيد.

والقرآن في هذه السورة يقص كيف وقعت هذه العجيبه: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلِيُّ هِينٌ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾

ويبرز دلالتها الحقيقية، وينفي تلك الخرافات والأساطير.

والسياق يخرج القصة في مشاهد مثيرة، حافلة بالعواطف والانفعالات، التي تهز من يقرأها هزاً كأنما هو يشهدها.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٢٧) إلى صفحة رقم (١٣٠)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني	الثالث
من	١	١٥	٣٤	آيات الحفظ
إلى	١٤	٣٣	٤٠	

الشوط الثانى

(قصة إبراهيم)

من الآية رقم (٤١) قوله تعالى: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ...﴾
إلى الآية رقم (٦٥) قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا...﴾
مدة الحفظ: يومان

انتهت قصة ميلاد عيسى بكشف ما فى أسطورة الولد من نكارة وكذب وضلال، وهى التى يستند إليها بعض أهل الكتاب فى عقائدهم الفاسدة وتليها فى السورة حلقة من قصة إبراهيم تكشف عما فى عقيدة الشرك من نكارة وكذب وضلال كذلك. وإبراهيم هو الذى ينتسب إليه العرب. ويقول المشركون: إنهم سدة البيت بناه هو وإسماعيل.

وتبدو فى هذه الحلقة شخصية إبراهيم الرضى الحليم... ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ تبدو وداعته وحلمه فى ألفاظه وتعبيراته التى يحكى القرآن الكريم ترجمتها بالعربية، وفى تصرفاته ومواجهته للجهاالة من أبيه. كما تتجلى رحمة الله به وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين ذرية صالحة تنسل أمة كبيرة، فيها الأنبياء والصالحون وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ينحرفون عن الصراط الذى سنه لهم أبوهم إبراهيم. هم هؤلاء المشركون.

ثم يمضى السياق مع ذرية إبراهيم: مستطرداً مع فرع إسحق فيذكر موسى وهارون: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾

ثم يعود السياق إلى الفرع الآخر من ذرية إبراهيم. فيذكر إسماعيل أبا العرب: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

وأخيراً يختم السياق فى هذه الإشارات بذكر إدريس: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾

يستعرض السياق أولئك الأنبياء، ليوازن بين هذا الرعيل من المؤمنين الأتقياء وبين الذين خلفوهم سواء من مشركى العرب أو مشركى بنى إسرائيل... فإذا المفارقة صارخة والمسافة

شاسعة والهوة عميقة والفارق بعيد بين السلف والخلف: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨)﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿

ويختتم هذا الدرس بإعلان الربوبية المطلقة لله، والتوجيه إلى عبادته والصبر على تكاليفها. ونفى الشبيه والنظير: ﴿وَمَا تَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿

﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ ... والعبادة في الإسلام ليست مجرد الشعائر. إنما هي كل نشاط: كل حركة. كل خلجة. كل نية. كل اتجاه.

إنه منهج حياة كامل، يعيش الإنسان وفقه، وهو يستشعر في كل صغيرة وكبيرة طوال الحياة أنه يتعبد الله، فيرتفع في نشاطه كله إلى أفق العبادة الطاهر الوضئ وإنه لمنهج يحتاج إلى الجهد والمعاناة.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٣٠) إلى صفحة رقم (١٣٢)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثاني
من	٤١	٥٦	
إلى	٥٥	٦٥	

الشوط الثالث

(البعث ومشاهد القيامة)

من الآية رقم (٦٦) قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا...﴾

إلى الآية رقم (٩٨) قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ...﴾

مدة الحفظ: يومان

هذا الدرس الأخير في السورة يمضى فى جدل حول عقائد الشرك وحول إنكار البعث ويعرض فى مشاهد القيامة مصائر البشر فى مواقف حية حافلة بالحركة والانفعال، يشارك فيها الكون كله، سماواته وأرضه، إنسه وجنه، مؤمنوه وكافروه. ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾

ويتنقل السياق بمشاهدة بين الدنيا والآخرة، فإذا هما متصلتان. تعرض المقدمة هنا فى هذه الأرض، وتعرض نتيجتها هنالك فى العالم الآخر، فلا تتجاوز المسافة بضع آيات أو بضع كلمات. مما يلقي فى الحس أن العالمين متصلان مرتبطان متكاملان: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِينَ مَا لَمْ أُؤَلِّدْ وَأُولَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَكَتَبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَنَرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾.

وهذا نموذج من تبجح الكافرين، وقولة أخرى من أقوالهم يستنكرها ويعجب منها.

ويستطرد السياق فى استعراض ظواهر الكفر والشرك: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢) أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدْ آذَىٰ (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًّا (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

ثم يستطرد السياق مرة أخرى إلى مقولة منكورة من مقولات المشركين. ذلك حين يقول المشركون من العرب: الملائكة بنات الله. والمشركون من اليهود: عزيز ابن الله. والمشركون من النصارى: المسيح ابن الله فيستفض الكون كله لهذه المقولة المنكرة التى تنكرها فطرته

وينقرض منها ضميره: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿﴾ .

وتختتم السورة بمشهد يتأمله القلب طويلاً، ويرتعش له الوجدان طويلاً، ولا ينتهى الخيال من استعراضه: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَمْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿﴾ .

فإذا الصمت يختم، والموت يجثم، وإذا الجثث والأشلاء والبلى والدمار، لا حس، لا حركة. لا صوت... ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ ﴾ انظر وتلفت ﴿ وَتَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ تسمع وأنصت. ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد إلا الواحد الحى الذى لا يموت.

تفسير آيات هذا الشوط من صفحة رقم (١٣٢) إلى صفحة رقم (١٣٤)

برنامج الحفظ

اليوم		الأول	الثانى
من	٦٦	٨٣	
إلى	٨٢	٩٨	